سلسلة

اللهم قوِّ إيمانَنا

[٤]

الأستاذ والتلميذة

تأليف : د. على راشد

ريشة : أسامه أحمد نجيب

دار الفكر العربي

obeikandl.com

هلْ يُمكنُ أنْ تجتمعَ كُلُّ هذهِ الميزاتِ فى فتاةٍ واحدةٍ؟ جمالُ الوجهِ، ورشاقةُ القوامِ ورجاحةُ العقلِ، وصفاءُ النَّفسِ، والعقيدةُ الإيمانيَّةُ الرَّاسخةُ، والتحلِّى بخُلُقِ المؤمناتِ سواءٌ فى عبادتِها لربِّها، أمْ فى تعاملِها معَ نفسِها أوْ أهلِها أو أساتذتِها وزميلاتِها وزملائِها بالكليَّةِ، أو معَ جيرانِها، أوْ غيرِهمْ. هلْ يمكنُ أنْ تكونَ كافةُ هذهِ الخصالِ والصِّفاتِ فى فتاةٍ واحدةٍ؟

الإجابةُ علَى هذَا التساؤلِ هىَ: نعَمْ، اجتمعتْ كُلُّها فى فتاةٍ واحدةٍ .. فريدةُ .. اسمُها فريدةُ، وهىَ بالفعلِ فريدةٌ.. فريدةُ حسينِ الزَّهارِ، الطَّالبةُ بالسَّنةِ الرَّابعةِ بكليَّةِ التَّربيةِ جامعةِ حلوانَ تخصُّصَ العلومِ. وقدْ حصلتْ فريدةُ علَى جائزةِ الطَّالبةِ المثاليَّةِ علَى مُستوَى كُليتِها فى العامِ السَّابقِ عندمَا كانتْ فى السَّنةِ الثَّالثةِ، بلْ إنَّ الكليَّةَ رشَّحتْها لتكونَ الطَّالبةَ المثاليَّةَ علَى مُستوَى جامعةِ حلوانَ، ورغمَ كلِّ هذَا التقديرِ فإنَّ هذهِ الفتاةَ الفريدةَ فى غايةِ التَّواضعِ والوداعةِ معَ الجميعِ، حتَّى معَ عُمَّالِ وعاملاتِ الكليَّةِ البسطاءِ، فهىَ تتعاملُ معَهُمْ وكأنَّهُمْ منْ

بقيَّة أفراد أُسْرتها، وهيَ لا تتباهى بما منحها اللَّهُ منْ ميزاتٍ وعطايا، كما أنَّها تتعاطفُ كثيرًا معَ زميلاتها ومُشْكلاتهنَّ، وتُحاولُ جاهدةً في مساعدتهنَّ في إيجادِ الحلولِ المناسبةِ لها. وقدْ أحبَّها وقدَّرها كلُّ منْ عرفها وتعاملَ معها، وخاصَّةً الدكتورَ عادلَ حمدانَ أستاذَ التربيةِ الذي وجدَ في تلميذته فريدةَ كلَّ هذا التَّكاملِ الجمالي والشخصي والخُلُقي والاجتماعي. فكانَ يسْعدُ كثيرًا في المحاضراتِ التَّربويَّةِ التي يُلقيها على دُفعةِ العُلُومِ حيثُ يجدُ أمامهُ دائمًا فريدةَ حُسينِ الزَّهارِ في الصَّفِّ الأوَّلِ منَ القاعةِ الدِّراسيَّةِ، وكانتْ هيَ أيْضًا شديدةَ الحرْصِ على حُضُورِ كلِّ المحاضراتِ بصفةٍ عامَّةٍ، ومُحاضراتِ الدكتورِ عادلِ حمدانَ بصفةٍ خاصَّةٍ، حيثُ تَعدُّهُ مثلَها الأعْلى في العلْمِ والخُلُقِ وأُصُولِ العلاقاتِ السَّويَّةِ معَ جميعِ منْ يتعاملُ معَهُمْ.

أمَّا عنْ حياةِ فريدةَ الأُسريَّةِ فيتضحُ منْها أنَّ مسئولياتها فيها أكبرُ منْ مسئولياتِ الدِّراسةِ الجامعيَّةِ، فهيَ الأُختُ الكُبْرى لفتاتيْنِ؛ سُميَّةُ الطالبةُ في الصَّفِّ الأوَّلِ الثَّانويِّ، وندى التلميذةُ في الصَّفِّ الرَّابعِ الابتدائيِّ، وقدْ حُرمتِ الشَّقيقاتُ الثَّلاثُ منْ حنانِ وعطفِ ورعايةِ الأُمِّ «منيرة سالم» الَّتي تُوفِّيتْ منْذُ عدَّةِ سنواتٍ إثرَ مرَضٍ خبيثٍ ألَمَّ بها، وكانتْ فريدةُ الابنةُ الكُبْرى وقتئذٍ في بدايةِ المرْحلةِ الثَّانويَّةِ. وورثتْ فريدةُ عنْ أمِّها منيرةَ الجمالَ اللافتَ للنَّظرِ، ورجاحةَ العقلِ في التَّعاملِ معَ متغيِّراتِ الحياةِ، والقُدْرةَ على تحملِ المسْئوليَّاتِ، والأخلاقَ الرَّفيعةَ، وتمتلكُ القيمَ الدينيَّةَ من التزامٍ في العبادات، ورضًا بما قسَمهُ اللَّهُ تعالى، وقناعةٍ وإيمانٍ، وكانتْ منيرةُ «هانم» منْ أُسرةٍ ثريَّةٍ هيَ أُسرةُ «سالم بك النَّحاس» رجُلِ الأعْمالِ المعروفِ الَّذي كانتْ مُضاربَاتُهُ في البُورصةِ سببَ ثرائه الكبيرِ، ثُمَّ

كانتْ نفسُ تلكَ المُضارباتِ سببًا فى إفلاسِهِ وَضياعِ ثروتِه، فلقدْ أتتْ على كلِّ ما يملكُ، وباتَ عليهِ ديونٌ تعرِّضُهُ لدخولِ السجنِ إنْ لمْ يقمْ بسدادِها، ولولا مساندةُ المعلمِ حسينِ الزهارِ - الذى يمتلكُ محلَّ جزارةٍ كبيرًا ويتعاملُ معهُ سالمِ بكِ منْ سنواتٍ طويلةٍ - لهُ لما استطاعَ أنْ يخرجَ منْ ورطتِه، فلقدْ سددَّ المعلمُ حسينُ باقىَ ديونِ سالمِ بكِ فى نظيرِ أنْ يتزوجَ أجملَ بناتِه «منيرة»، ولمْ يوافقْ سالمِ بكِ فى أوَّلِ الأمرِ على هذا الزواجِ غيرَ المتكافئِ إلا أنَّ منيرةَ نفسَها أصرَّتْ على إتمامِ هذا الزواجِ إنقاذًا لأبيها منْ موقفِهِ المالىِّ الحرجِ، وكانتْ سعادةُ حسينِ الجزارِ لا توصفُ عندما زفَّتْ

إليه «مُنيرة هانم» بنتُ الحسب والنسب فكانتْ نعمَ الزوجةُ الصَّالحةُ المخلصةُ، ورُزِقَ منها ببناته الثَّلاث: فريدةُ وسُميَّةُ وندى، وعلَّمت الأمُّ بناتها أصُولَ الحياةِ وأصُولَ التربيةِ وأُصُولَ الدين، فكانَ تأثيرها فى تربية بناتها واضحًا ومُعلنًا، ولمْ يتدخَّل الأبُ فى هذه التربيةِ - نظرًا لظروف عمله - وترك مسئوليتها لزوْجته ورغم أنه لا يقرأُ ولا يكتبُ؛ ورغْمَ أنَّ - كار الجزارة - يجعلُهُ يتعاملُ مع الآخرين بفظاظةٍ وشدةٍ؛ إلا أنَّهُ مع زوجته وبناته كانَ يُحاولُ دائمًا أنْ يكونَ مُهذبًا بعيدًا عنْ هذهِ الفظاظةِ وتلْكَ الغلْظةِ والشدةِ إلى حدٍّ كبيرٍ باستثناء بعْضِ المواقف. ولكنَّ الأمْرَ الذى لم يستطعِ التَّخلُّصَ منْهُ هُوَ أنَّهُ إذا قرَّرَ أمْرًا فلا أحدَ يستطيعُ أنْ يُثنيهُ عنْ هذا القرارِ، فهُوَ لا يمتلكُ مُرونةَ التفكيرِ، ولَمْ يتعلَّمْ بدائلَ القراراتِ، ولا تنوُّعَ الفكرِ.

ورحلتِ الأُمُّ الصَّبُورةُ الوفيَّةُ «مُنيرةُ هانم» إثرَ مرَضٍ خبيثٍ ألمَّ بها، ومن قبلها بسنواتٍ رحلَ والدُها «سالم بك النَّحاس»، وصُدِمَ المعلمُ حُسينُ صدمةً هائلةً بفراقِ حبيبته وزوْجته مُنيرة، ولم يجدْ مَنْ يحلُّ محلَّها، فلَمْ يتزوَّجْ بعدها، وتركَ أمْرَ بيْتِهِ وشُئُونَ بناتِهِ لابنته الكبْرى فريدةَ التى كانتْ تُشبهُ إلى حدٍّ كبيرٍ أمَّها فى كُلِّ شىءٍ، فكانتْ عزاءَ أبيها فى فُقْدانِ أمِّها الغاليةِ.

وسارتِ الأُمُورُ على ما يُرامُ حتَّى حلَّتْ مُشكلةٌ ليستْ بالهيِّنةِ ألمَّت بهذه الأُسرةِ ونتجَ عنْها تغيُّرٌ حادٌّ فى مسارِها الطَّبيعىِّ، وخاصَّةً بالنسْبةِ للابنةِ الكُبْرى «فريدة» حيثُ لاحظ الجميعُ - وخاصَّةً فى كُليتها - تغيُّرَ أحْوالِها، فهَا هىَ الَّتى لَمْ تَكُنْ تتغيَّبُ عنْ أيَّةِ مُحاضرةٍ تتغيَّبُ عن الحضُورِ إلى الكليَّةِ لعدَّةِ أيَّامٍ، وهَا هىَ الَّتى كانتْ تدْخُلُ قاعاتِ الدِّراسةِ كالزَّهْرةِ الجميلةِ المتفتِّحةِ، قدْ أصابها الذبُولُ

وفقدتْ بريقها ورونقها ونضارتها، تنظرُ لمنْ حولها بعيُونٍ أرهقها السهرُ وطولُ البكاء. وكانتْ ترُدُّ عنْ أيّة تساؤلاتٍ بخصوص هذا التغيرِ وذاك الشحُوب - وهى التى لمْ تُفارقْ الابتسامةُ وجهها الجميل - بأنها ظروفٌ عائليّةٌ. ولاحظ الدكتورُ عادلُ حمدانٍ كلَّ هذهِ التغيراتِ على الفتاةِ المثاليّةِ «فريدة» وهى التى طالما أسعدتْهُ بجمالها ووداعتها وحواراتها وذكائها وإبداعاتها الفكريّة، وعندما كان يسألها عنْ سرِّ هذا التحول، كانتْ تُجيبُ فى انكسارِ نفسَ الإجابة: ظروفٌ عائليّةٌ.

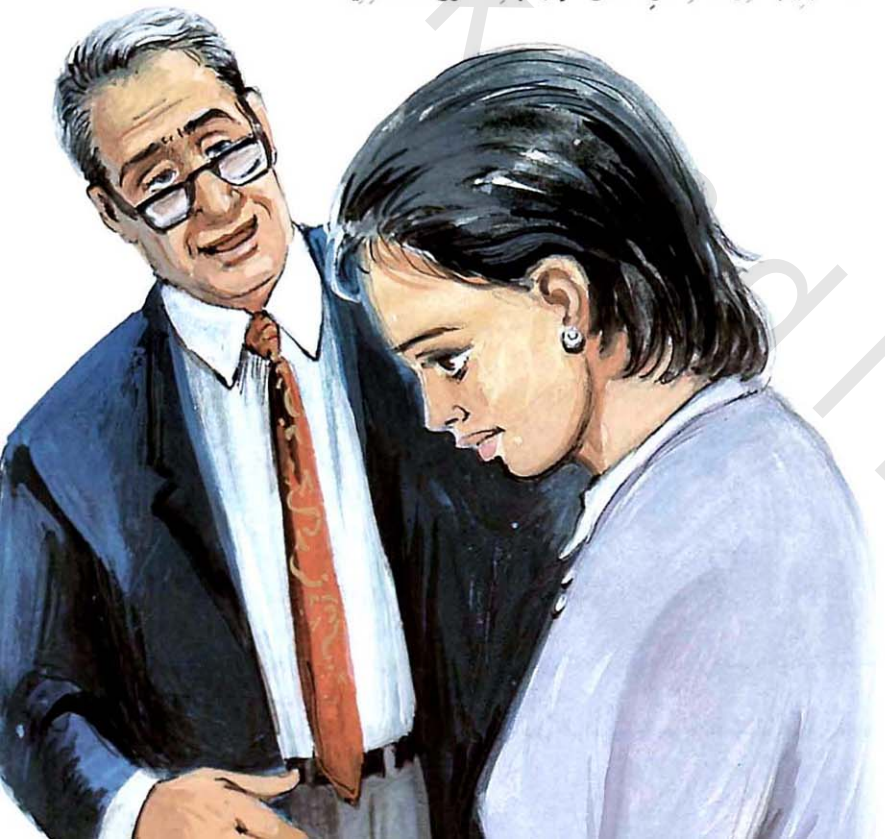

والحقيقةُ التى كانتْ غائبةً عن الجميع، والتى لا يعرفُها سوى المعلّم حُسين الزّهار وبناته الثّلاث، هى أنَّ المعلّمَ قد اتّخذَ قرارًا لا رجْعةَ فيه بأنْ يزوج ابنتهُ فريدةَ - الطّالبةَ الجامعيّةَ المثاليّةَ - لصبيّه وذراعه الأيمن فى محلِّ الجزارة «درُش»، وعندما اعْترضتْ فريدةُ - وأُختاها على هذا القرارِ أفهمَها

والدُها بأنَّ «درش» بصرْف النَّظر عنْ أنَّهُ أميٌّ لا يقرأ ولا يكتبُ: إلا أنَّهُ أصبحَ خبيرًا بـ «كار الجزارة»، وأنَّهُ لا يأتمنُ أحدًا على المحلّ مثلما يأتمنُ «درْش»، وهُو المسئولُ عنْ تكملة مسيرة حياتهنَّ بعْد أنْ يرحلَ المعلّمُ عن الحياة، فـ «درْش»، فهُو المسئولُ عنْ تكملة مسيرة حياتهنَّ بعد أنْ يرحلَ المعلّمُ عن الحياة، فـ «درْش» هُو المستقبلُ، وأنَّهُ يرى فيه شبابهُ، عندما بدأ حياتهُ العمليَّة كصبيٍّ فى محلّ جزارة.

وكأنَّ التاريخ يُعيدُ نفسهُ، فزواجُ هذا الشَّابّ الذى يعْملُ بالجزارة من الطَّالبة الجامعيَّة المثاليَّة «فريدة»، هُو هُو تمامًا كزواج المعلّم حُسين الزَّهار - فى شبابه - من الفتاة الجميلة الثَّريَّة «مُنيرة سالم» - أمّها - رحمةُ اللَّه عليْها. وأكدَ والدُها لابنته أنَّ حياتها ستكُونُ سعيدةً مع «درْش» مثلما كانتْ حياتهُ هُو مع أمّها سعيدةً وناجحةً رغمَ اختلاف الجوانب التَّعليميَّة والثَّقافيَّة والاجْتماعيَّة.

ولَمْ تستطعْ فريدةُ أنْ تُثْنى أباها عنْ هذا القرار، وهى الَّتى تعرفُ طبعهُ وتمسُّكهُ بقراراته، وكتَمتْ مشاعرها وأحاسيسها، ولَمْ تستطعْ أنْ تقولَ لأبيها: أنا أرفضُ هذا الزَّواج، وهى الَّتى لاحظتْ لسنواتٍ طويلةٍ مُعاناةَ أمّها - رحمها اللَّهُ - معهُ لاختلاف الجذُور والأصُول الثَّقافيَّة والاجتماعيَّة بينهما، وكانتْ تكتُمُ معاناتها فى نفسها حرْصًا على الحياة الأُسريَّة لبناتها الثَّلاث، ولَمْ تكُنْ تشعرُ زوجها بهذه الفُروق بينهُما.

وفى أحد الأيَّام - وكانَ يومَ أحدٍ - حدَّدَ الأبُ إعلانَ خُطوبة ابنته الكُبْرى فريدة على صبيه الجزَّار «درْش» فى يوم الخميس التَّالى، وأسْقطَ فى يَد فريدة، وكأنَّ يوْم الخميس هذا هُو يوْمُ إعدامها ونهايةَ حياتها، ورَغْم مُواساة أختيْها سُميَّة وندى لها، إلا أنَّ هذه المواساة لَمْ تُقللْ منْ إحساسها

بالفزع من يوم الخميس القادم وما سيحدث فيه، ودار بخلدها خيالات هذا اليوم الرهيب وهي

تجلس ومن حولها الأهل والأقارب ترتدي فستان الخطوبة، وقد أتى المعلم الصغير «درش» وجلبابه متسخ بدماء الذبائح التي ذبحها في ذاك اليوم، ويده تقطر دما والروائح الكريهة تنبعث منه، فيمسك بيدها الرقيقة ويثبت فيها الشبكة وكأنها القيود الحديدية التي ستسجن خلفها إلى الأبد.

وأصابتها هذه الخيالات بالغم والهم والنكد والاكتئاب، فارتمت على سريرها تبكي بشدة وحرارة

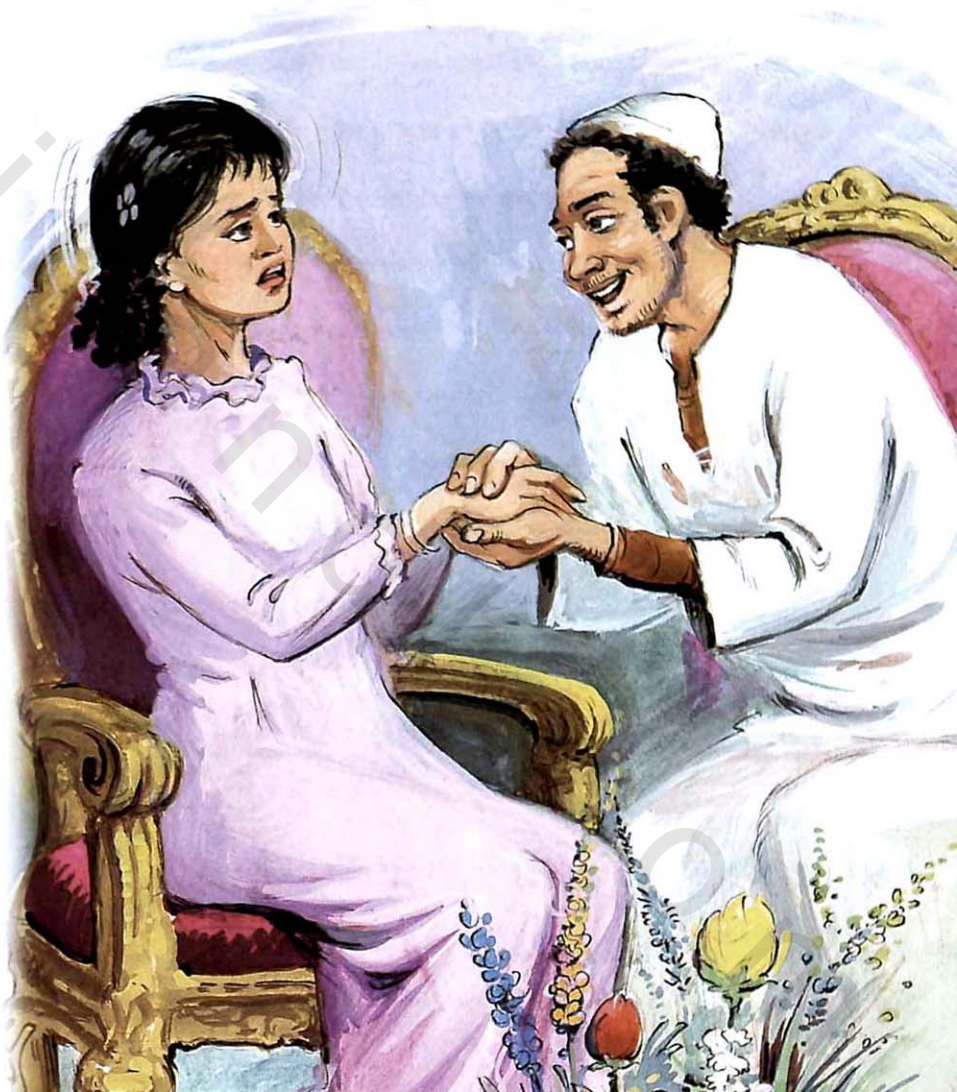

لَمْ تعهدْهَا منْ قبلُ إلا يَوْمَ أنْ ودَّعتْ أمَّهَا الحنُونَ إلَى مَثْوَاهَا الأَخيرِ، وَتمنَّتْ أنْ ترحلَ إلَى أُمِّهَا قبلَ يَوم الخميس. وَظلَّتْ فَريدَةُ إلَى وَقتٍ مُتأخِّرٍ منَ اللَّيلِ وَهيَ فِي نَفْسِ الحالَةِ المريرَةِ، وَفِي لحظَةٍ منَ اللحظَاتِ سَمِعَتْ عَنْ بُعدٍ صَوتَ أحدِ قُرَّاءِ القرآنِ الكريمِ وَهُوَ يَتلُو - منْ خلالِ مزياعِ لأحدِ الجيرَانِ - بَعْضَ الآياتِ الكريمَةِ منِ سُورَةِ الشرح - فأرهفَتِ الفتَاةُ الحزينَةُ السَّمعَ لتلْكَ التلاوَةِ المباركَةِ فَإذَا بِهَا تسمَعُ بوضُوحٍ:

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)﴾ (الشرح)

فَتمتْمَتْ فَريدَةُ فِي نفسِهَا - وَقَدْ شَعُرَتْ أنَّ هَذهِ رِسَالَةٌ منْ رَبِّهَا إلَيْهَا وَهيَ فِي هَذهِ الحَالَةِ -:

صَدَقْتَ يَا رَبِّي .. إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا .. إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسرًا .. وَأكملتْ تحدِّثُ نفسَهَا وَقَدِ اعْتَرَاهَا قَدْرٌ منَ الأَمَلِ:

هَلْ يمكنُ أنْ تتكَشَّفَ هَذهِ الغُمَّةُ وَيأتِي اليُسْرُ؟ هَلْ يمكنُ أنْ يُغيِّرَ أبُوهَا رَأيَهُ قَبلَ أنْ يَأتِيَ يَوْمُ الخميسِ؟

وهُنَا دَبَّ الأَمَلُ والرَّجاءُ فِي نفسِ هَذهِ الفتَاةِ المسْكينةِ، فَقَامَتْ منْ سَريرِهَا وتوضَّأتْ، وَأحْسَنتِ الوُضُوءَ، وَوَقَفتْ بَينَ يَدَيْ رَبِّهَا تُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَّهُ يكشفُ عَنْهَا هَذَا البَلاءَ، وَعِنْدَمَا سَجَدَتْ للَّهِ العَلِيِّ القَديرِ أخَذَتْ تُنَاجِي رَبَّهَا وَتَدْعُوهُ وَهيَ مُوقِنَةٌ بالاستجَابَةِ قَائلَةً:

«اللَّهُمَّ يَا مؤْنِسَ كُلِّ وَحيدٍ، وصَاحِبَ كُلِّ فَريدٍ، يَا قَريبًا غيرَ بَعيدٍ، يَا غَالبًا غيرَ مَغْلُوبٍ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ والإكرَامِ .. فَرِّجْ عَنِّي كُرْبَتِي، وَأزِحْ عَنِّي بَلوَتِي، يَا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ برحمتِكَ

أستغيثُ .. أذهبْ عنّى الهمّ والحزنَ، حسبى اللهُ ونعمَ الوكيلُ. أمانَ الخائفين، ومُجيرُ المضطرّين، اللّهمّ اجعلْ منْ عسْرى يسرًا، ومنْ ضائقتى فرجًا، ومنْ كربى مخرجًا. يا أرحمَ الراحمين برحمتك أستغيثُ .. يا أرحمَ الراحمين برحمتك أستغيثُ.

وظلّت الفتاةُ المؤمنةُ فريدةُ فى سجدتها ودعائها وتوسّلها للّه عزّ وجلّ حتّى راحتْ فى نومٍ عميقٍ وهى ساجدةٌ، فرأتْ فيما يرى النّائمُ أنّها تسيرُ فى حديقةٍ جميلةٍ ذات أشجارٍ وزهورٍ بديعةِ الألوانِ والرائحةِ، وهى ترتدى فستانَ زفافٍ أبيضَ جميلاً، وتشعرُ بسعادةٍ وفرحٍ، وإذا بجمعٍ غفيرٍ منَ البشرِ وهمْ يقفونَ على صفّين، وهمْ يصفّقونَ لها ويحيّونها بأجملِ التّحياتِ، وهى تردُّ عليهمْ بابتسامةٍ كبيرةٍ وتلوّحُ لهمْ بيدها اليمنى، ولمحتْ وهى تسيرُ رجلاً يشعُّ النّورُ منْ وجهه، وهوَ يرتدى ثيابًا بيضاءَ جميلةً ولهُ لحيةٌ ذاتُ شعرٍ أبيضَ لامعٍ، وهوَ يبتسمُ لها ويحيّيها، كما شاهدتْ على الجانبِ الآخرِ العديدَ منْ زميلاتها وبينهنّ أختاها سميّةُ وندى، والجميعُ يصفّقنَ لها ويزغردنَ، وإذا بها ترى أمّها فى أجملِ ثوبٍ وأحلى ابتسامةٍ وهى تلوّحُ لها فى سعادةٍ غامرةٍ، وعندما دقّقتِ النّظرَ ناحيةَ أمّها وجدتْها تقفُ بجوارِ رجلٍ وقورٍ يلبسُ ملابسَ رسميّةً أنيقةً، وهوَ يبتسمُ لها ويلوّحُ بيدهِ ليحيّيها، وعندما نظرتْ بتركيزٍ إلى هذا الرّجلِ وجدتْهُ أستاذها الدكتورَ عادلَ حمدانَ الّذى تبجّلُهُ وتحترمُهُ وتسعدُ به، فزادَ ذلكَ منْ سعادتها وسرورها، وتقدّمَ الدكتورُ عادلٌ ناحيتها مخترقًا الجموعَ الغفيرةَ وهوَ يمدُّ يدهُ ليمسكَ بيدها، وفى نفسِ هذهِ اللّحظةِ استيقظتْ فريدةُ من منامها بعدَ أنْ شعرتْ بيدِ أستاذها تلمسُ يدها، وعندما تنبّهتْ الفتاةُ ووجدتْ نفسَها ساجدةً للّه عزّ وجلّ، وسمعتْ أذانَ الفجرِ والمؤذّنُ ينادى: الصّلاةُ خيرٌ منَ النّوم .. الصّلاةُ خيرٌ منَ النّوم..

فقامتْ منْ صلاتها وتوضأتْ وأدتْ صلاة الفجْر، وقد غيّرت الرؤيا التى رأتْها فى منامها من حالتها تمامًا، وأزالتْ عنْها حالة الهمّ والغمّ والاكتئاب التى عاشتْها لفترة ليستْ بقصيرة.

وفى الصباح ذهبتْ إلى كلّيتها وهى تشْعُرُ أنّ اللّه تبارك وتعالى سوْف يكشفُ عنْها هذه الظلمة، ويزيحُ عنْها هذه الغمّة، رغْم أنّها لا تعْرفُ كيف ومنْ أين سيأتى الفرجْ.

وتوجّهتْ على الفوْر إلى مكتب أستاذها الدكتور عادل حمدان، فوجدتْهُ بمفرده، فسعدتْ بذلك، كما سعد هُو بقدُومها وشعر أنّها استردتْ قدْرًا منْاسبًا منْ نضارتها وابتسامتها المضيئة، وبعد أنْ رحّب بها بادرها بقوْله:

- ألمْ يحنِ الوقتُ لتقْصّى لى عمّا حدثَ لك فى الآونة الأخيرة وغيّرك كُلّ هذا التّغيير؟

وارتسمتِ ابْتسامةٌ خفيفةٌ على وجْهها المشْرق وقالتْ على اسْتحياء:

- نعمْ حان الوقْتُ لأقْول لأسْتاذى الفاضل عنْ كُلّ شىْء ..

فأسند ظهرهُ على كُرسى مكتبه الدوّار فى جلْسة اسْترخاء وسعادة لأنّهُ آن الأوانُ أنْ يعرفَ السّرّ الّذى حيّرهُ فى الأيّام الأخيرة، وقال لها:

- هات ما عندك ..

فروت التلميذةُ لأسْتاذها كُلّ شىْء عنْ مشْروع زوّاجها منْ «درْش» ومُبررات والدها لهذا الزواج، وأنهتْ كلامها بسرد الرؤيا الّتى رأتْها وهى ساجدةٌ تشْكُو للّه حُزْنها، وتدعُوهُ عزّ وجلّ أنْ يجعل منْ عُسرها يُسْرًا..

وسادَ صمتٌ بينَ الأستاذِ وتلميذتِه بعدَ أنْ أخبرتْهُ بكافةِ تفاصيلِ مشكلتِها، وبعدَ فترةِ تفكيرٍ ليستْ بالقصيرةِ قالَ الأستاذُ:

- أخبريني بعنوانِ محلِّ أبيكِ للجزارةِ، واتركي الأمرَ للهِ عزَّ وجلَّ ثمَّ عليَّ..

ونظرتِ التلميذةُ إلى أستاذِها نظرةَ تساؤلٍ عمَّا سينوي القيامَ به، وهلْ سيأتي تحركُهُ بنتائجَ إيجابيةٍ، أمْ سيأتي بنتائجَ سلبيةٍ.

وفهمَ الأستاذُ منْ نظرةِ تلميذتِه كلَّ شيءٍ فطمأنَها قائلاً:

- لا تخشَيْ شيئًا، ستكونُ النتائجُ إنْ شاءَ اللهُ طيبةً كما رأيتِيها في المنامِ.

فاطمأنَّتِ الفتاةُ لكلماتِ أستاذِها، وانصرفتْ منْ مكتبِه بعدَ أنْ أخبرتْهُ بعنوانِ محلِّ الجزارةِ الذي يمتلكُهُ والدُها المعلمُ حسينُ الزهارِ.

وبعدَ انتهاءِ اليومِ الجامعيِّ توجَّهَ الدكتورُ عادلٌ إلى كليةِ الطبِّ حيثُ يعملُ ابنُهُ طارقٌ معيدًا، وبعدَ مقابلةٍ قصيرةٍ تركَ الأبُ ابنَهُ وانطلقَ إلى مكانِ محلِّ الجزارةِ، وطوالَ الوقتِ وهوَ يفكرُ ويخططُ لأفضلِ السُّبلِ في التعاملِ معَ هذهِ المشكلةِ، وبعدَ أنْ رتَّبَ أفكارَهُ، وجهَّزَ خطتَهُ كانَ قدْ وصلَ إلى مكانِ المحلِّ ونزلَ منْ سيارتِهِ ودخلَ المحلَّ فوجدَ المعلمَ حسينًا يقومُ بتجهيزِ طلبيةٍ منَ اللحمِ

لزبونة تقف منتظرة، ويساعده في العمل شاب صغير السن رث الهيئة تتقاطر الدماء من ثيابه، فاستنتج الدكتور عادل أنه المدعو «درش».

وبادر الدكتور داخلا على المعلم حسين مسلما عليه:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. أهلا وسهلا سيدنا الأستاذ اتفضل ..

قالها المعلم حسين بترحيب تقليدي عندما يدخل محله زبون لأول مرة، وبعد أن أنهى المعلم حسين بمساعدة «درش» ما طلبته الزبونة المنتظرة من لحوم وأخذ منها ثمن تلك اللحوم، التفت إلى الدكتور عادل بابتسامة عريضة قائلا:

- أأمر يا أستاذ .. طلباتك، أنا تحت أمرك ..

- الأمر لله يا معلم .. في الحقيقة أنا لأول مرة أحضر إلى محلك هذا بناء على توصية أحد زملائي الذي مدح في نوعية اللحم في هذا المحل وأسعاره المناسبة.

قالها الدكتور عادل وهو يحاول أن يداري السبب الحقيقي الذي جاء من أجله.

ورد المعلم حسين في سعادة لحسن سمعة المحل:

- وأنا تحت أمرك وأمر زميل سيادتك .. وإن شاء الله سوف تصبح زبونا دائما لنا ..

والتفت ناحية صبيه قائلا بلغة آمرة:

- واد يا درش .. فريرة هات حاجة ساقعة للأستاذ ..

ونفذ درْسُ الأمْرِ بدُون تفكير قائلاً: أمرك يا معلّمى ..

واطمأنَّ الدكتورُ عادلٌ لنجاح بداية خُطَّته وتعرُّفه على المعلّم حُسين قائلاً:

- لا داعى يا معلّم لذلك الكرم .. أنا أودُّ أنْ تُظْهِرَهُ فى

إعْطائى أفضل ما عندكَ منْ قطعيَّة اللَّحْم ..

- وأنا رهْنُ إشارتك يا أستاذ .. الأمرُ .. طلَباتُك ..

- أودُّ «عـرْق» فلتُّـو كنْدُوز لعَـمل

البُـفْـتـيك، و ٢ كـيلو جـرام منَ اللَّحْم

الأحمَر بدون دُهن ثُمَّ يتمُّ فرمُهُ ..

- من عنيَّة الاثنين يا سيدنا الأُسْتَاذْ .. اتفضَّلْ سيادْتَك بالجلوس عَلَى هَذَا الكرْسِى، وأنَا سَأُجَهِّزْ لَكَ كُلّ مَا طَلَبْتَ.

وكانتْ خُطَّةُ الدكتورِ عَادِلِ أنْ يُطِيلَ الحَديثَ مَعَ المعلِّم حُسين، وكَانَ مُتَأكِّدًا مِنْ أنَّ استخلاصَ «عِرق» الفلتُّو وتجهيزَهُ عَلَى هَيئَةِ شَرائحِ البُفتيكِ سَيأخُذُ وَقْتًا يَسمحُ لَهُ بالحَديثِ مَعَ المعلِّمِ حُسين، وَإنْ لَم يَكُنْ يَدرِى مَا المدخَلُ المنَاسِبُ للمَوْضُوعِ الَّذِى أتَى مِنْ أجْلِهِ، وَسَاعَدَتِ الأقدَارُ فِى إيجَادِ هَذَا المدْخَلِ مِنْ خِلالِ حَديثِ المعلِّم حُسَينِ نَفسِهِ فِى أثنَاءِ أداءِ عَمَلِهِ، حَيثُ قَالَ:

- إنَّمَا لامُؤَاخَذَة يَا أستاذْ حَضرتكْ بتشتَغلْ فِينْ؟

وحمدَ الدكتورُ عَادلٌ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ عَلَى هَذِهِ الفُرصَةِ الذَّهَبيَّةِ فأسرعَ وَأجَابَ:

- أنَا دُكتورْ فِى كُليَّةِ التَّربيةِ جَامعَة حُلوان يَا معلِّم..

وهُنَا توقَّفَ المعلمُ عَنْ عَمَلِهِ وصَاحَ بِفَرَحٍ:

- كُليَّة التَّربية جَامعَةْ حُلوان!! دِى الكُليَّة اللِّى فِيهَا بِنْتِى الكُبرَى فَرِيدَة.

ومثَّلَ الدكتورُ عَادلٌ دورَ المندهشِ لِصدْفَةٍ غَيرِ متوقَّعَةٍ وَقَالَ:

- فَريدَة حُسين الزَّهَّار الطَّالبَةُ بالفرقَةِ الثَّالثَةِ تخصُّص العُلُوم؟

وأكملَ المعلِّمُ حَديثَهُ بسَعَادَةٍ بَالغَةٍ:

- نَعَمْ .. نَعَمْ .. هيَ بعينِهَا فَريدة حُسين الزَّهار .. وَأنا المعَلِّم حُسينُ الزَّهار وَالدُهَا ..

وَشعرَ الدكتورُ عَادلٌ أنَّ خطتَهُ تَسيرُ فِي طَريقِ النَّجاحِ فقَالَ مُبتسِمًا:

- سُبحانَ اللَّهِ علَى هَذِهِ المفَاجأة .. ابنتُكَ يَا معلِّم حُسينُ أَفضَل طَالبةٍ عِندِي .. لَقدِ اختيرَتِ الطَّالبَةَ المثاليَّةَ عَلَى الكليَّةِ كُلِّهَا.

فَردَّ المعلِّمُ فِي سُرورٍ وَاضحٍ:

- أيوَه يا سَعادَةَ الدكتُور .. أنَا عَارِف .. بَارَكَ اللَّهُ فيكَ ..

فقدَّمَ الدكتُور عَادلٌ نفسَهُ إلى المعَلِّم:

- أقَدِّمُ لَكَ نَفْسِي يَا معلِّم حُسين .. أَنَا الدكتُورُ عَادِل حمدان أُستاذُ التَّربيةِ بالكليةِ، وَأنَا فِي غايةِ السَّعادةِ لهذَا التعَارفِ، وَنِعمَ التربيَةُ يَا معلِّم حُسين ابنتُكَ فريدةُ مثالٌ للطالبَةِ المصريَّةِ المكتَملةِ الصِّفات ..

وظهرَ عَلَى المعلِّم حُسينِ قَدرٌ مِنَ الحياءِ وَقَالَ:

- كَفَى يَا سِيدْنَا الدكتُورُ .. أَخجلتُم تواضُعنَا .. أَكثَرَ اللَّهُ مِنْ أَمثالِكَ ..

obeikandl.com

وهُنَا دَخَلَ «دَرش» وهُوَ يَحمِلُ زُجاجَةَ مشروبٍ بَارِدٍ قَدَّمَها لِلدكتورِ قَائِلا:

- اتْفضَّلْ يَا أسْتاذ.

- شُكْرًا يا دَرْش.

قَالَها الدكتور عَادل وَهُوَ ينظُرُ بطرْفٍ خَفِيٍّ لهذَا الدَّرْشِ الَّذِى هُوَ سَببُ المشكلَةِ لتلميذَتِهِ العَزِيزَةِ.

وبَادرَ المعلِّمُ حُسين الحديثَ لِصبيِّه دَرش قَائلاً:

- هَذَا هُوَ الدكتورُ عَادلٍ أُستاذُ فَريدة فِى الكُلِّيةِ يَا درْش..

فابتسمَ دَرش ابتسامَةً كَبيرَةً سَاذجَةً مُسلِّمًا بِيديْهِ عَلى الدكتُور عَادل:

- أهلا سيدْنَا الدكْتُور .. شَرَّفْت وَنوَّرْت ..

- شُكْرًا يَا درْش ..

قالَ المعلِّمُ حُسينٌ لِصَبيِّه:

- تَعَالَ يَا دَرش أكملْ طَلبيَّةَ الدكتورُ لأَنَّنِى أودُّ أنْ أتحدَّثَ مَعَهُ قَليلاً..

فَردَّ الصَّبِىُّ: أمرَكْ يَا مُعلِّمِى ..

وجلَسَ المعلِّمُ حُسينٌ بجوَارِ الدكتورِ عَادلٍ بَينمَا انْشَغَلَ دَرشٌ فِى عملِهِ ..

وبادَرَ المعلِّمُ الدكتورَ عَادل فِى حديثٍ هَامسٍ قَائلاً:

- إنْ شاءَ اللَّه يا سيدْنَا الدكتُور تشرفْنَا الخميسَ القادم فِى البيْتِ لِحضُورِ حَفلِ خُطوبة بنتِى فَريدَة عَلَى دَرْش..

ورسمَ الدكتورُ علامةَ تعجبٍ علَى وجههِ وقالَ وقدْ دخلَ فِى قلبِ المعركةِ:

- ماذَا تقُول يَا معلّم حُسين !!!

فكررَّ المعلمُ كلامهُ ودعوتهُ ..

فاعتدلَ الدكتورُ عادلٌ فِى جلستهِ وقَالَ فِى لهجةٍ حازمةٍ مُعاتبًا:

- يَا معلّم حسين ابنتُك فريدةُ الأُولَى علَى دُفعتِهَا وفِى العامِ القَادمِ - إنْ شاءَ اللَّهُ - بَعدَ أنْ تتخرَّجَ هذَا العَامَ سوْفَ تعيَّنُ مُعيدةً بالكُليَّةِ، ثُمَّ تكملُ دراستَهَا العُليا حَتَّى تصبحَ دُكتورةً فِى كُلِّيتِهَا .. فكَيفَ تَقُولُ أنَّها ستتزوَّجُ منْ دَرْش؟

وهنَا ارْتسمتْ علَى وَجهِ المعلّم حُسينٍ علَامَاتُ الدَّهشةِ والإعجَابِ بابنَتِهِ وقَالَ:

- دُكتورة حتَّة وَاحْدة..

فاستمرَّ الدكتور عَادل فِى كَلامِهِ مُتحمِّسًا لِشعُورِهِ بقربِ انْتصارِهِ فِى مَعركتِهِ:

- نَعَمْ يَا مُعلّم ستُصبحُ ابنتُك - إنْ شَاءَ اللَّهُ - الدكتورةَ فَريدة حُسين الزَّهار.

وكأنَّمَا تَمَّتْ عَمليةُ غَسْلِ مُخٍّ للمعلّم حُسينٍ بهذهِ الكَلِمَاتِ ففتَحَ فَاهُ قَائلاً:

- الدُكتورة فريدة حُسيَن الزَّهار ..

واستَمرَّ الدكتورُ عَادلٌ فِى اسْتكمَالِ خُطَّتِهِ بنفسِ الحماسَةِ وقَالَ للمعلّم:

- نَعَمْ يَا معلِّم حُسين .. الدكتُورةُ فريدةُ حسينِ الزَّهار .. ابنتُكَ يَا معلِّم حُسين يتمنَّاهَا أفضَلُ شَبَابِ البَلَد ..

وهُنا فجّر الدكتورُ عادلٌ قُنبلةً فى وَجهِ المعلّم حُسين واستمرَّ فى قَولِه:

- ولا أُخفيك قَولًا يا معلّمُ .. ابْنى طَارقٌ المعيدُ بكليَّةِ الطِّبِّ وَالَّذى ينتظرُهُ مُستقبلٌ كبيرٌ فى عالم الطبِّ بإذن اللّه تعالى يتَمنَّى أنْ يتزوجَ ابنتَك فَريدة ..

وهُنا استسلمَ المعلّمُ حُسينٌ، وتنازلَ عنْ قرارِه لأوّلِ مرّةٍ وقالَ مُتسائلاً:

- هلْ تتكلّمُ بصورةٍ جديّةٍ؟ هلْ يمكنُ لابنِ سيادتِك يا دكتورُ، المعيدِ بكليّةِ الطبِّ أن يتزوّجَ ابنتي فريدةَ؟

فبادرَهُ الدكتورُ عادلٌ في سعادةٍ:

- نعمْ .. نعمْ يا معلّمُ هذا نسبٌ يُسعدُنا ويشرّفُنا.

وفي ثقةٍ استكملَ كلامَهُ:

أولادُنا يا معلّمُ ينتظرُهُمْ مُستقبلٌ زاهرٌ في الطبِّ والتربيةِ..

وأزيحتِ الظُّلمةُ، وكُشفتِ الغُمّةُ للفتاةِ المؤمنةِ فريدةَ، وتمّ عقدُ قرانِها على الطبيبِ طارقِ عادلٍ حمدانَ، المُعيدِ بكُليةِ الطبِّ الذي كانَ قدْ رآها في إحدى زياراتِهِ لوالدِهِ بالكليّةِ وأُعجبَ بها كثيرًا، ووافقَ على زواجِهِ منها عندما ذهبَ والدُهُ إليهِ قبلَ زيارةِ المعلّمِ حُسينٍ في محلّهِ مُباشرةً.

وفى حفل الزفاف سار العروسان السعيدان، والأهل والأحباب والأصدقاء فى صفين يصفقان لهما، وسمية وندى تمسكان بالشموع المضيئة للعريس والعروسة.

وتنبهت فريدة وهى فى قمة سعادتها أنها رأت هذا المشهد فى منامها، وفى أثناء ذلك شاهدت بوضوح طيف أمها الحبيبة وهى تلوح لها وابتسامة عريضة على وجهها المضيء بالنور، وهى تبارك لها بنظرات عينيها فغرت دموع الفرح من عينى الفتاة المؤمنة فريدة، وتمتمت فى نفسها وهى تزف إلى عريسها الوسيم وابن أستاذها الجليل قائلة:

اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك..

اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك..

اللهم قوِّ إيمانى.